العرب
الإثنين 2019/07/15
السنة 42 العدد 11408

صورة خاشقجي مع عناصر طالبان: حدود الصحافة والسياسة

برامج الفضائيات المصرية تتشابه بانفراد كل مذيع فيها بافتراس مشاهديه

يغامر الصحافي بمهنيته ومصداقيته،عند التعاون مع جهاز أمني أو استخباراتي أو بناء علاقات خاصة مع السياسيين، وهو بالضرورة خروج عن أبجديات العمل الصحافي الذي يكلف صاحبه ضريبة باهظة من القلق وحرق الأعصاب والعيش فوق حد السيف.

سعد القرش
روائي مصري

الصورة المتداولة لجمال خاشقجي بجوار الرئيس الأميركي الأسبق رونالد ريغان تثير أسئلة عن الحدود بين الصحافة والسياسة، وترسيم مسافة آمنة يجب ألا يتخطاها الصحافي إلى ملعب أبعد من النشر.

وحين أقول "السياسة" فإن للكلمة دلالات وظلالا أخرى ربما تكون خفيّة تبعا لطبيعة أجهزة سرية يقبل الصحافي التعاون معها. وأبجديات الصحافة في كلية الإعلام بجامعة القاهرة تعلمنا أن الصحافي يجب ألا يعمل إلا صحافيا، ويحظر عليه أمران: العمل بالإعلانات والتعاون مع أي جهاز أمني أو استخباراتي، وعلى من يرغب في اختيار أي منهما أن يحسم خياره، بترك الصحافة تماما والتفرغ لما راهن عليه؛ فمن يخضع لرحمة المعلِن وإحسانه لن يكون موضوعيا إذا واجه اختيارا بين الحقيقة ومصلحة ولي النعم. فماذا عن العمل مع جهاز سياسي أو سيادي؟

> اقتراب الصحافي من السلطات السرية، فضلا عن مخالفته لقواعد الشرف المهني، قد يحقق فوائد مؤقتة ولكنه يحيل حياته إلى جحيم

كان الشاعر أسامة عفيفي رئيسا للقسم الثقافي في مجلة "الموقف العربي"، وتصادف أن حصل على وثائق تخص المركز الأكاديمي الإسرائيلي في القاهرة، فسارع إلى نشرها. وفوجئ بزيارة مسؤول يقدم إليه وثائق وأوراقا مهمة يفرح بالوصول إليها أي صحافي، ولكن أسامة لم يتوصل إلى هذه الوثائق، بل قدمت إليه، فشكره وأعادها إليه، وانتهى اللقاء. وقال لي إن في قبول الأوراق وعدا أو تعهدا بنشرها، وربما يكون هذا إلزاما ضمنيا. ولا يضمن أن تقدم إليه أوراق أخرى لن يكون حرا في التثبت من صحتها أو تأخير نشرها؛ لأنه رضي بأن يكون موظفا أو واجهة لما تريد هذه الجهة أن تعلنه، في الوقت الذي تحدده.

قريب من هذا الموقف ذكره محمد حسنين هيكل في كتابه "مبارك وزمانه من المنصة إلى الميدان" أن حسني مبارك اتصل به، قبل السفر إلى الأردن للقاء الملك حسين، أثناء جمع مادة كتابه "حرب الخليج: أوهام القوة والنصر"، وقال له هيكل إن الملك سيتيح له حرية الاطلاع على كل الملفات. وبعد عودته إلى القاهرة اتصل به مبارك، ووعده بالاطلاع على ملفات الرئاسة "السرية"، وأرسل الدفعة الأولى منها مع مصطفى الفقي سكرتيره للمعلومات، وبدأ هيكل قراءة الوثائق ثم توقف، وقال للفقي إنه يكتفي بقراءة ما اطلع عليه، ولا يريد المزيد؛ إذ شعر بحسه الصحافي والسياسي أن هذه الأوراق "مكتوبة بأثر رجعي، أي بعد الحوادث وليس أثناءها"؛ وأنها "محررة بتوجيه". فهل يملك الإعلاميون المصريون في الفضائيات الحكومية والخاصة، وهم يكررون الخطاب نفسه حرفيا، نزاهة الاستغناء عما يقدم إليهم من معلومات، وما يؤمرون بمناقشته من قضايا، وما يتخذونه من مواقف؟ هم لا يملكون فضيلة الاعتذار عن خطايا مهنية فادحة وفاضحة، ومنها قسم المذيع أحمد موسى بعد أيام من قتل جمال خاشقجي، في قنصلية بلاده بإسطنبول، أنه بقي في القنصلية عشرين دقيقة، ثم خرج إلى مقر المخابرات التركية. حماقة لا ترد بخيال أكثر السفهاء الكارهين لخاشقجي والمدافعين عن قتلته.

أن تؤدي الصحيفة والفضائية أغراضا غير مهنية يفقدها المصداقية، حتى لو فرحنا مؤقتا بالدور الذي تؤديه. في ميدان التحرير كانت فضائية الجزيرة حاضرة بقوة، ولم يعترض أحد في الميدان على هذا الحضور المؤثر الذي نحتاج إليه. كان الهدف أن يتعاون معنا العالم كله للتخلص من مبارك، ولم ننتبه إلى ضرورة خوض المعارك الشريفة بأسلحة لا تقل شرفا. وفي كتابي "الثورة الآن: يوميات من ميدان التحرير"، سجلت يوم الأحد 30 يناير 2011 تحت عنوان "مبارك يعلن الحرب على الشعب" رسالة إلكترونية من الكاتبة الجزائرية المقيمة بباريس آمال فلاح تتساءل بقلق "ماذا يحدث عندكم؟ الجزيرة تجاوزت الإخبار إلى التحريض". وفي حماسة الثورة لم نبال بالتحريض، ولم نتوقع أن يستمر التحريض وتتغير أهدافه.

في الصورة التي ترجع إلى عام 1985، حسب ناشريها، يجلس خاشقجي على يسار ريغان تحت صورة معلقة لما يبدو أنه جورج واشنطن، وفي القاعة عدد من قادة الفصائل الأفغانية بالزيّ المحلي. ولا أظن المهمة ذات طابع صحافي أو لحاجة ريغان إلى مترجم؛ ففي الإدارة الأميركية مترجمون ورجال استخبارات يجيدون لغات كل الأمم والقبائل. وكان الرئيس المصري أنور السادات قد استقبل عام 1980 وفدا من المجاهدين الأفغان، وصدرت صحيفة الأهرام بهذه العناوين:

– السادات للثوار الأفغان: سنقف معكم بكل ما في الإسلام من قوة.

– الرئيس يدعو الثوار لتشكيل حكومة مؤقتة والابتعاد عن الخلافات العربية والإسلامية.

– زعماء المجاهدين: السادات هو الزعيم الوحيد الذي تعهد بتقديم كل المساعدات لشعب أفغانستان.

هل كان خطأ المجاهدين، وهم يخوضون حربا عادلة للدفاع عن بلادهم ضد الغزو السوفيتي، أنهم استخدموا أسلحة غير شريفة كانت تستخدمهم في لعبة أكبر منهم؟ عدو العدو ليس بالضرورة صديقا، وحين انتهى دورهم في إجهاد الاتحاد السوفيتي وتفكيكه، توالى ضخ الأسلحة والتمويل إلى الفصائل الأفغانية في حرب أهلية لم تنته إلى اليوم؟

في يناير 2010 قال مصطفى الفقي رئيس لجنة العلاقات الخارجية والشؤون العربية بمجلس الشورى لصحيفة المصري اليوم إن الرئيس القادم لمصر "يحتاج إلى موافقة الولايات المتحدة وعدم اعتراض إسرائيل"، فوضع نفسه تحت مقصلة محمد حسنين هيكل الذي كتب للصحيفة نفسها مقالا عنوانه "شاهد ملك"، جاء فيه أن حديث الفقي "جملة كاملة، ومعبرة، وجملة مسؤولة بلا سهو أو خطأ، باعتبار أن صاحبها يعلم ما يقول، ويقول ما يعلم". قسمة مثل هذه، ولكنها محلية ذات طابع أمني، تتم في اختيارات القيادات الإعلامية والصحافية.

وتسهل استعادة الخارطة الإعلامية في بدايات 2014، وتتساءل: أين ذهب الذين بشّروا بمصر جديدة؟ ولماذا تتشابه برامج فضائيات ينفرد في كل منها مذيع واحد بافتراس مشاهديه، فيعظ ويضلل ويصرخ ويحذر ويعد ويتوعد، ويخيّر المواطن المصري بين احتمال القبضة البوليسية والخيار السوري؟

لاختيار الصحافي عملا غير مهني ضريبة باهظة من القلق وحرق الأعصاب والعيش فوق حد السيف. وتصل المخاطر حد السجن، أو القتل. ويورد هيكل في كتابه "بين الصحافة والسياسة" خطابا من مصطفى أمين بعد القبض عليه متهما بالتجسس لحساب الولايات المتحدة أن اتصالاته برجال السفارة الأميركية "تمت بعد استئذان السلطات وموافقتها"، وأنه ألف في دار أخبار اليوم "جهازا لجمع المعلومات.. مؤلفا من محرري أخبار اليوم"، أوفد البعض منهم إلى سوريا أثناء الوحدة (1958 – 1961) والعراق والأردن وغيرها، وذكر أن إبراهيم سعدة "مكلف بالقيام بأعمال مخابرات بناء على اتفاق بيني وبين السيد صلاح نصر مدير المخابرات". ثم أصبح سعدة في عهد السادات أصغر رئيس لتحرير أخبار اليوم.

كل هذه الشجون أثارتها صورة خاشقجي مع ريغان، ونهايته الغامضة الواضحة بتفاصيلها المفجعة. هذه التفاصيل تقول إن اقتراب الصحافي من السلطات السرية، فضلا عن مخالفته لقواعد الشرف المهني، قد يحقق فوائد مؤقتة، ولكنه يحيل حياة صاحبها إلى جحيم، لن يكون أقل من راكب أسد.

أين حدود الصحافي

مقتل الصحافية التي أظهرت أن ثمة حياة في الصومال

في الوقت الذي هزت فيه التفجيرات والهجمات المدن الصومالية في السنوات الأخيرة، وجدت الصحافية الكندية من أصول صومالية هودان نالايا هدفها الذي تمثل في عرض جمال وطنها وشعبها المخفي عن أعين العالم.

لندن - قتلت الصحافية الصومالية هودان نالايا وهي حامل بطفلها الثالث، وقد كرست حياتها خلال السنوات الأخيرة لبث قصص إيجابية عن بلد يعاني منذ عقود من الحرب الأهلية والهجمات المتطرفة والمجاعة.

وقتل مع الصحافية زوجها فريد جمعة سليمان، كما لقي 23 شخصا آخرين حتفهم بعد أن انفجرت آلية مفخخة عند مدخل فندق مزدحم في وسط كيسمايو، الجمعة الماضي.

كانت نالايا (43 عاما) حريصة على أن تظهر أن ثمة حياة في الصومال وهي تنشر صور الأسماك وهي متدلية من أيادي الصيادين، فيما القوارب الصغيرة تنطلق في المياه الزرقاء الناصعة.

كتبت في إحدى المرات على حسابها في تويتر "يدّخر الناس ما يجمعونه في حياتهم ليعيشوا على الشاطئ بعد تقاعدهم. ولكننا في الصومال نمتلك شواطئ واسعة ولا يرى شعبنا قيمتها. دعونا نقدر البركات الجميلة التي رزقنا بها".

وقال معاذ خان منتج الأفلام في تورنتو، إنه قابل هودان قبل بضع سنوات واستلهم من "حكمتها".

وأضاف في تصريح لوكالة أسوشيتد برس أنها دائما ما ألهمته، حيث كانت تشجع الشباب على التمسك بأحلامهم وآمالهم وإن كانت صعبة في البداية. ونعى أحمد حسين وزير الهجرة واللاجئين والمواطنة في الحكومة الكندية، نالايا، قائلا إنها "أبرزت قصص المجتمع الصومالي الإيجابية ومساهماته في كندا" من خلال عملها. وعبر عن حزنه على خسارتها وخسارة الآخرين الذين قتلوا في الهجوم الأخير.

ولدت نالايا في مدينة لاس عانود الواقعة شمال الصومال، ثم انتقلت مع أبيها وأمها وإخوتها الـ11 إلى مقاطعة ألبرتا الكندية في شتاء سنة 1984، بينما كانت البلاد تعيش تحت درجات حرارة منخفضة تصل إلى 40 درجة مئوية تحت الصفر.

تحدثت عن تجربتها خلال مقابلة سابقة مؤكدة أن والدها عمل في مجال إنفاذ قانون مواقف السيارات بعد أن كان دبلوماسيا صوماليا.

انتقلت الأسرة إلى تورنتو سنة 1992، ثم أكملت نالايا دراستها في جامعة ندسور لتعمل في مجالات المبيعات والأعمال إثر ذلك. ثم عادت إلى الجامعة مرة أخرى للحصول على شهادة في الصحافة وتحقيق حلم طفولتها إذ أرادت أن تصبح مقدمة برامج تلفزيونية. وأصبحت بعدها من المشاهير على وسائل الإعلام.

في عام 2014، أطلقت نالايا منصة تلفزيونية من كندا كوسيلة لنشر القصص الصومالية، وانتقلت إلى مدينة كيسمايو الساحلية سنة 2018 لمواصلة عملها بعد زيارة موطنها عدة مرات. واكتسب البرنامج، المعروف بين أفراد الشتات الصومالي، مئات الآلاف من المتابعين على وسائل التواصل الاجتماعي. كما قابلت سليمان، الذي كان يساعد في حفر بئر للمياه الصالحة للشرب في الصومال التي تعاني من الجفاف. وتزوجا.

قالت ساسيدو شاي، وهي ناشطة صومالية في مينيسوتا، إن نالايا كانت تريد أن يتعرف الأجيال الشابة من الشتات الصومالي على بلادهم. وأشارت إلى أنها كانت تستغل منصتها لإلقاء الضوء على الصوماليين في الداخل والخارج.

ووصف أو هيرسي، زوج نالايا الذي قتل معها، والذي كان يعرفه بأنه زوج مخلص. وقال "كان رجلا رائعا وكان يهتم بالناس، كان لطيفا وغير متكبر".

وأكدت شاي أن نالايا لم تكن تريد أن تكون مشهورة بقدر ما كانت تحاول أن توفر منصة لأبناء بلادها ليعبروا عن أنفسهم.

كلما سئلت عن الإرث الذي تريد أن تخلفه بعد وفاتها، كانت نالايا تقول "أريد أن يتذكرني الناس كشخصية موحدة".

هودان نالايا وجه الصومال الجميل

صحافية تركية تتهم أردوغان بالتدخل لفصلها من عملها

أنقرة - قالت الصحافية نيفسين مينغو، المذيعة السابقة في قناة "سي.أن.ترك"، إن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان أعطى أوامر بطردها من المحطة، وفق ما ذكرت صحيفة "غازيت دوفار" الإخبارية.

وقالت مينغو خلال برنامج على التلفزيون الأسبوع الماضي، إن أردوغان بعث برسالة إلى رجل الأعمال أيدين دوغان، الذي يمتلك مجموعة دوغان ميديا والتي تضمنت "سي.أن.ترك"، وأمره بـ"التعامل مع السيدة".

وفي مايو 2017، قامت إدارة محطة تلفزيون "سي.أن.ترك" بإيقاف مينغو عن الهواء بعد تصريحاتها حول اجتماع بين أردوغان والرئيس الأميركي دونالد ترامب.

وأفادت الصحافية خلال برنامج إخباري مسائي "لقد دخل (أردوغان) وخرج، خلال وقت يقارب 23 دقيقة". وذلك تأكيدا على أن الاجتماع استغرق وقتا قصيرا.

وأصبحت مينغو لاحقا هدفا للانتقادات في وسائل الإعلام الموالية للحكومة بسبب تعليقها على قصر الاجتماع وأعفيت من مهامها باعتبارها مذيعة الأخبار المسائية، رغم أنها واصلت العمل في "سي.أن.ترك" لفترة قصيرة.

ثم استقالت من محطة الأخبار وأعلنت عبر حسابها على تويتر، قائلة "لقد تم فصلي من (قناة سي.أن.ترك) بالود. هذا يحدث في بعض الأحيان. أتمنى أن يكون القادم أفضل".

وبدأت الصحافية العمل في خدمة البث الدولية الألمانية "دويتشه فيله" التركية. في نوفمبر 2017، وعندما سئلت كيف انتهى بها الأمر في دويتشه فيله؟ شرحت مينغو الأسبوع الماضي تفاصيل ما حدث، مؤكدة أنه ليس لديها خيار سوى مغادرة المحطة بعد الطلب من أردوغان إلى دوغان.

> نيفسين مينغو أصبحت هدفا للانتقادات في الإعلام الموالي للحكومة لتعليقها على قصر اجتماع بين أردوغان وترامب

كإجابة على السؤال عما إذا كان ادعاؤها يعكس الحقيقة أم لا، قالت مينغو إن فكرت بيلا، الصحافي المخضرم، أكد الأمر المزعوم من أردوغان لأنه كان على متن الطائرة مع الرئيس عندما حدث ذلك.

وباعت شركة دوغان ميديا، التي تملك صحيفتي "حرية" و"بوسطة"، واثنين من قنوات الترفيه والأخبار الرئيسية في تركيا، وهما كانال دي وسي.أن.أن. ترك، في مارس 2018، أصولها الإعلامية إلى المجموعة التركية الموالية للحكومة ديميرورين، مقابل 1.2 مليار دولار.